السيد حسن القاياتى

نشأنا نقرأ قصائد رائعةً للأستاذ السيد حسن القاياتى بجريدة الأهرام ومجلّة الرسالة، ونُدرك فى نظمه رصانةً تدل على إتقانٍ واتئاد، حيثُ لا يأتى بالمعنى العَفْوى كما اتفق، ولكنَّه ـ كأبى تمام ـ دائمُ الغوصِ على الشُّوارد الخافية النائية، وكانتْ مكانته فى مجمع اللّغة العربيّة تُلقى علينَا ظلاّ من المهابة، فلا نجرؤ على تفقد ما يقعُ من الغُموض فى شعره، حتّى كانت السنة الرابعة بكلية اللّغة العربيّة، وحَاضَرَنَا الأستاذ عبد الجواد رمضان عن الأدب المعاصر، فذكر السيد حسن القاياتى قَريعًا لشوقى وحافظ ومحرم وكبار الفحول من شعراء النهضة، وأَكْبرنا ذلك بدءاً، فعرضَ علينا الأستاذ من قلائده ما كنّا نجهل، بلْ مازاد عجبنا من جهلنا إياه، فالأستاذ فريدٌ فى اتجاهه الشعرى، يُعنَى بالدقائق من المعانى، وبتجنّب الفضول، وإذا أطالَ لا ينزل عن مستواه فى بيت واحد! وقد كَثُر حديث الأستاذ عبد الجواد رمضان عن صاحبه، فقلْنَا له: وماذا يفيد الحديث المقصورُ على الطّلاب فى حجرة ذات أربعة جدران، فانطلقَ ليكتب بَحْثًا أدبيّاً عنه نَشَرَهُ بمجلة الأزهر، وتلته بحوثٌ خاصة بشعر القاياتى، وأذكر أنّى قرأتُ فيما كتبه الأستاذ بمجلة الأزهر أن الأستاذ حسن القاياتى، كان زميَل الأستاذيْن الكبيريْن مصطفى عبد الرازق ومحمود أبو العيون فى عهد الطلب، يتدارسون ويسمرون معًا، ثم حانَ موعد امتحان (العالمية) وهى الشهادةُ النهائية حينئذٍ فتقدم الأستاذان للامتحان، وأَنِفَ الأستاذ القاياتى أن يَجلْس مجلس الممتحن! ولا ندْرى كيف وقع هذا؟ ولكنه تاريخ يكتب!

أول لقاء:

تشوقتُ إلى لقاء الشاعر الكبير، فأخْبرتُ الأستاذ عبد الجواد برغبتى، فقالَ لى حين طلبتُ أن يُمهّد سبيل التعارف: عجبًا، ألا تعرف بيت القاياتى بالسكرية؟ لآيوجد أديبٌ أو زعيم سياسى إلاّ عَرفَ هذا البيت، لقد كانَ والدُ السيّد حسن من زُعماء الثورة العرابيّة، ونُفِى إلى الشام مع شقيقٍ له من علماء الأزهر، وألَّف بعض الكتب هناك، ثم قامتْ ثورة سنة ١٩١٩ فكانَ منزل القاياتى بالسكرية أحدَ بَراكينها الثائرة، وَبِهِ أُعِدَّ أكثُر منشوراتِ الثّورة، وكان الأستاذ مصطفى القاياتى أكبر خطيبٍ عرفته ثورة ١٩١٩ بشهادة زعيمها الخالد سعد زغلول! ومازالَ بيتُ القاياتى منذ سنة ١٩١٩ عامراً بالوفود! وإذا انقطعَ حديثُ السياسة، فإنّ حديث الشعرِ والأدب لاينقطع، لأنّ السيد حسن القاياتى يُصغى إلى كل ما يَعرضُه الناشئة من طلبة الأزهر ودار العلوم والجامعة من الشعر، ويحاولُ أن ينقُد ما اعْوَجَّ، ويَهدِى من ضلّ! ثم تسألنى بعد ذلك عن بيت القاياتى؛ وتطلُب شفيعًا للقاء صاحبه، اذهبْ سريعًا وتتلمذ عليه!

لم يكن الأستاذ عبد الجواد مبالغًا فيما قال، فقد ذهبتُ عقب صلاة المغرب إلى بيت القاياتى بحىّ الدرب الأحمر، فوجدتُ المجلس الأدبى، يؤمُّه الناشئة والكبار معاً، وفى هذا المجلس عرفتُ صديقى الأستاذ طاهر أبو فاشا، إذ كانَ لاينقطع عن لقاء الشاعر الكبير، كما عرفتُ فريقًا من الأدباء لهم مكانُهم الواضح فى دنيا الفكر المعاصر، وتقدمت للأستاذ فأعلمتُه بما يفيضُ فيه الأستاذ عبد الجواد من حديث عن شاعريته، ووجدت من بشاشة اللقاء ما شجعّنى على تكرار الزيارة، غير أنّ الذى عجبت له، أن الأستاذ لم يكن ليكتفى مع زائريه بما يُقدم من شراب القهوة شتاءً والليمون صيفًا، بل كان يُقيم مآدبَ الغداء والعشاء على نحوٍ متواصل، وكأنّ الزائر قد أَتَى إلى منزله الخاص ليأكل ويشرب! وقد رأى الأستاذ طاهر أبو فاشا دَهْشتى حين أخبرنى أن ماشهدتُ الليلةَ هو النظام اليومى الممتد، فقالَ لى: لقد تأخرتَ عن موعدك، جئتَ للسيد حسن، وأنت فى السنة الرابعة، لقد ضاعتْ عليك السنوات الثلاث! وحينَ رجعتُ إلى الأستاذ عبد الجواد تحدّثتُ معه عن لقاء

الشاعر وكرمِ مجلسه فقال إن بيت القاياتى من أعْرق بيوت (الصوفيّة) ولهذه البيوُت تقاليد لاتنقطع، وكانَ أجداد القاياتى من كبار القضاة فى عصر المماليك، ولهم ذكر مأثور دونه على مبارك فى الخطط التوفيقية، وفى طليعتهم شمسُ الدين القاياتى قاضى قضاة مصر فى المائة الثامنة، ومنذ المائة الثامنة هذه، والبيتُ عامرٌ بزائريه، يتحدثون فى الفقه والدين والأدب والسياسة ثم يأكلون وينعمون! وأطرقَ الأستاذ قليلا ثم قالَ وفى قنا بيتٌ مماثل، هو بيت الصوفى الكبير «أبو الوفا الشرقاوى» بيوتٌ حافلةٌ بالعلم والكرم معًا!!

شغف واهتمام:

شُغفت بتتبّع آثار القاياتى فيما تفرق من الصحف، وقد حدثَنى الأستاذ محمد شوقى أمين، أنّه كتب فى جريدة الوادى عدّة مقالات عن شعر القاياتى تحت عنوان (ثنائيّات القاياتى) إشارةً إلى أبياتٍ من الحكمة، أَكْثَر الشاعر من نظمها، بَيْتَيْنِ بيتين، حتى ألّفتْ مجموعةً من المعانى الفكرية ذاتِ المنحى الفلسفى، وكانَ المشرف على رئاسة تحرير الوادى حينئذ الدكتور طه حسين، فقالَ لشوقى حينَ واصلَ المقالات عن هذه الثنائيّات، ماذا أبْقيت لشوقىٍ وحافظ والبارودى حين جَعلتَ القاياتى أكبر شاعرٍ معاصر؟! وقد قرأتُ ما وَقَع فى يدى من مقالاتِ شوقى أمين، ثم لفتنى الأستاذ عبد الجواد رمضان إلى قراءة ما كتبه القاياتى فى جريدة كوكب الشرق، تحت عنوان (العشرات)، إذا أخذ يتتبّع مقالات الأدباء، وقصائد الشعراء تَتَبُّعاً ناقدًا، ويخصّ كلّ عشرةٍ نقدية بتصويبٍ كاشف، وكانَ البحثُ عنْ جريدة كوكب الشرق شاقا بالنسبة إلىّ، ولكنّى اهتديتُ إلى مجلّد يحوى سنةً كاملة من أعدادها، فأسفْتُ أكبر الأسف أن تفرّقَتْ هذه البحوث فى صفحات الجريدة المسائية دونَ أن تُجمع! مع أنها لوطُبعت فى جزءٍ مستقّل لألفت كتابًا حافلاً بالتصويب النقدى الرصين، ولا أدرى لماذا أهملها صاحبها؛ فتركها أباديد.

بين القاياتى وشوقى:

من أبيات السيد حسن القاياتى الذائعة قوله:

إنى لأضخمُ مَن فى مصر قافية   لا تجحدونى هذا أيها العجم

وهو قول يدلّ على اعتزازه بمكانته الشعرية، كما يدلّ على أنه لايقرّ سبق غيره عنه فى مضمار القريض، وهو لإبائه العنيف لم يشأ فى حياة شوقى أن يشنّ حربًا عليه، لأنّ أنصار التجديد قد أَصْلَوْا شوقيا بما فيه الكفاية، ومنزعُ القاياتى أقربُ إلى منزع شوقى فى الاتجاه الفنّى، فما يُقال عن تقليد شوقى يُقال أيضًا عن تقليد القاياتى! وحينَ ارتحل شوقى نهضَ من يُبايعُ العقاد بإمارة الشعر، كما نهضَ مَن يُشيدون بشوقى الراحل ويعدّونه فردًا لانظير له! ولا أدرى لماذا ترك القاياتى تحفظه من ناحية شوقى، وأثَر أن يُعلن ما طواه فى أحنَائه من شجون أدبيّة، حين كتبَ فى جريدة كوكب الشرق الصادرة بتاريخ ٢٣/ ١٢/ ١٩٣٤ تحت عنوان (إمارة الشعر)، وهى إحدى العثرات المتوالية بالجريدة (ورقمها ٦٨) فقال القاياتى:

هأنذَا، وهذا شوقى، وتلكَ أشعارُه وهذه أشعارى، فإن كنُتم ولابّد قاضين له علينا، فلا أقَل من نظرة موازنةٍ عفيفة برّةٍ تُلقونها على قصيدةٍ لى، وقصيدةٍ له، فإذا انكشفت المقايسةُ بيننا وبينه عن سبقه وتبريزه كانَ لكم أن تحلّوه سماءه وتلبسوه تاجَ الإمارة يأتلق على مفرقه الوضاح.

ثم يعرضُ قوله:

كَمْ نالَ كُرسَّى النّيَابة جاهلٌ إنْ قيسَ بالكُرْسّىِ قيس بأنفس

مقارنًا بقول شوقى:

دَارُ النيّابة قد صُفت آرائكها لا تُجلسوا فوقها الأحجارَ والخُشُبا

مؤكّدًا أن شوقيا نزعَ المعْنى منه غاصبًا إياه! ويقولُ بصدد ذلك «لَمْحَة جُلّى من الموازنة بين شاعرين عصريّيْن أحدُهما أمير الشعراء (شوقى)، والثانى شاعرٌ من عرض الشعراء، لا هُو بالنّابه، ولا المعروفُ، بيدَ أنك ترى فى بيْته على فضيلة السبق فيه مسحةً فنّانةً من الشاعرية الساخرة، فى جدّةٍ من التشبيه، وجزالةٍ من اللفظ إلى مانجد فى بيت شاعرِكم من الانتحال بل الإغارة المسلّحة».

هذا قليل من كثير قاله القاياتى! وموضُع النقد فيما انتحاه، أنّه جعل الموازنة بين بيت وبيت فقط! وما هكذا يا سعدُ تورد الإبل! فقدْ يتفّوق القاياتى فى بيتٍ وفى أبيات! ولكنّ النظرة العامة إلى شعر الشاعرين فى موضوعاتهما المختلفة، وأساليبهما المتباينة هى التى تكونُ موضعَ الترجيح، ولا أدْرى كيف نسى القاياتى ذلك أو تناساه!

رثاء منتحل:

كان من عادة القاياتى أن يودّع الراحلين، بثنائيّة من شعره، يكتبُها بالنسخ، ويوقع بكلمة (السيد) فحسب، ويضُع الشعر بَيْن مستطيلٍ يخطّه بالقلم الرصاصى، ثم يرسُل القصاصة إلى الجريدة اليومية فيظهر البيان بتوقيع (السيد).

وحينَ مات الدكتور زكى مبارك ظهر هذا البيان بتوقيع (السيد)

شُعَلٌ من اللهب الذكى شَبتْ بقلبى من زكىّ
جَمعَ الذكاءَ فرُوعيتْ صلة المسمّى بالسمّى

وكنّا فى منزله بالسكرية، فحدّثنَا الشاعر حديثًا عجبًا، خلاصتُه أنه نظمَ بيْتيْن فى رثاء زكى مبارك، وبعثَ بهما إلى الجريدة، فَفُوجئ ببيتيْن لم ينظمهما، وقد نُشرا بتوقيعه، ثم رأَى أن يُحقق الأمر بنفسه، فوجدَ الأصل مكتوبًا بخط نَسْخى يوافق خطّه، وبتوقيع لايختلف عن توقيعه، وقد وُضع البيتان فى مستطيلٍ كعهده فيما يُرسل، وهو للآن لايعرف هذا الذى حاكاه شعرًا وخطا وتوقيعًا فأجادَ المحاكاة! قلتُ: ولمَ لمْ تُعلن الأمر؟ قال: أردتُ، ولكن رئيس التحرير شاءَ أن يتريّث، ليعلم مَن المرُسِل؟ لأنّه إذا وجد الصمت، فسيعلنُ عن نفسه! أمّا إذا وجد الاحتجاج فسيؤثر السكوت.

ثم ضحك القاياتى، وقال: هناك قصةٌ مشابهة وقعتْ للشيخ حمزة فتح اللّه، فقد كان يركب فى تفتيش المدارس بالصعيد سفينةً تابعة لشركة (كوك) وكان عُمّالُها يضايقونه حين الوضوء والصلاة، فعزم على شكواهم، ولم يفعل، ولكنّه فوجئ

بقصيدةٍ ممهورة باسمه، تعلن هذه الشكوى، وإذا كان الشاعر يتكلف الغريب غير المأنوسٍ من الألفاظ، فقد جاءت ألفاظ القصيدة على طريقته، وكأنها من حُرّ نظمه، فكانت مفاجأةً أولى للشاعر، أما المفاجأةُ الثانية فهى نسخةُ القصيدة ذاتها، إذ كُتبتْ بخطّ مماثل لخط الشيخ حمزة فتح الله، إذ كانَ يكتب بحروفٍ تقرب من الرّسم الكوفى، وهو ما اعتاده أصحاب الصحف، حتى ألفوُه منه! وقدٍ قال الشيخ حمزة: هذا النظمُ نظمى وما قرضْتُه، وهذا الخط خطى وماكتبتُه! ثم اتضح أن الشاعر إسماعيل صبرى اشترك مع حفنى ناصف فى النظم، وقد قلّداَ الخط تقليداً متقنًا، ثم قال القاياتى: إنّه كان علىَ صلة قويّة بإسماعيل صبرى، وقد زارهُ لأول مرّة مع الدكتور محمد صبرى السوربونى وسَجّلَ هذه الزيارة فى قصيدةٍ نشرها أخيراً بالثقافة، ومطلعها:

أما وَقدْ زُرتك فْلأعجبِ ... برتبةٍ أدنَتْ منَ الكوكب

نوه بى قصْديكَ فى منتدىً ... زاحمتُ فيه البدر بالمنكب

صفىّ دارٍ خلِتُنى عنده ... أزورُ عرش الملك فى موكب

كم رحّب البِشرُ بناَ جهده ... والدار لولا البشرُ لم ترحب

تأبين حارّ:

حين انتقل القاياتى إلى رحمة الله، لم تُوفه الصحف حقّه من التوديع، فسكتَ عنه مريدوه، وطالماَ غمرهم بتشجيعه وبره، ولكنّ تأبين مجمع اللّغة العربية للراحل الكريم فى حفل مشهودٍ، قد أحيا ذكر الشاعر خير إحياء، إذ ألقى الدكتور منصور فهمى كلمةً رنانة كان لها تأثيرُها النفاّذ بين الحاضرين جميعًا، وكنتُ أحد مَن سعدوا لسماعها، وحرصتُ على الاحتفاظ بها بعد نشرِها فى مجلة المجمع، لأنّ الدكتور منصور قد كانَ أديباً رائع التعبير، صادقَ العاطفة، قوىَّ الإخلاص، وقد رسمَ صورةً رائعة للشاعر فى سموّه وتعاليه ونزاهته، وذكر فى مطلع التأبين، أنه طلب آثار الفقيد من أهله، فجىء له بمكدّسات من المقالات والقصائد نُشرت

على مدى خمسين عامًا ولم تُطبع فى أجزاء، ثُم قال: على أن الكيفية التى جَمع بها الفقيدُ مخلفاته الأدبيّة قد تدل على طبيعة زاهد، لايتلهّف على شهرةٍ فى دنيا الأدب، ولا يتعّجل منزلةً من الناشرين، فيؤثُر الريث والدعة على الركض الحثيث.

ثم كانَ الدكتور منصور فهمى شاعرًا قوى التأثير حين رسمَ موكبَ الوداع للراحل، إذ كانَ بعضَ شهوده المشيعّين فرأى النعْش الكريم يخرجُ فى الضّحْوة العالية من منزلٍ أثريٍّ تتجمع فى أروقته ووجهاته أنماطٌ من الفن الشرقى الصميم، وقد تدافَع المريدون إلى حمله متزاحمين، وقد أخذُوا يتئدون ويتثاقلون حرصًا على أن يصبهم أكبرُ قسط من بركة هذا الرفات، حتّى بلغوا جامع المؤيد ليضعوا الجثمان فى سيارة تحركتْ عجلاتها بين نشيج الباكين، وصلوات الداعين، ومضَى الركب المتواضع ليصمم شطر القايات، حيثُ كان النّاس فى استقبال الجثمان حُشودًا زاخرة يتزودون منه بآخر النظرات، ويضعُون رفاته فى رحاب آبائه المباركين، رضوان الله عليهم وعليه أجمعين.

هذا بعضُ ما يحضرنى عن القاياتى، ولصديقى الأستاذ الشاعر محمد مصطفى البسيونى ذكرياتٌ عاطرة عنه فلعله يتحدث عنها، وسيجدُ من يستمع.

* * *

الدكتور عبد الوهاب عزام

تحدثت عن الدكتور عبد الوهاب عزام فى أكثر من كتاب، وقد قلت فيما قلت عنه: إنه كان من دعاة الإسلامية الواعية أينما حلّ، وقد درس لغات المسلمين من فارسية وأوردية وتركية، لا ليجلس أستاذاً بمعهد اللغات الشرقية، بل ليدرسَ آمال المسلمين وآلامهم فى كل بقعة، وليفصح عنهما بما يملك من بيان وليقدّم أعلام المسلمين ونتاجهم الحافل إلى اللّغة العربية، كما قدم محمد إقبال، ومحمد عاكف، وعبد الحق حامد، والجامى، والعطار، مُترجماً وشارحاً ودارساً، وقد كان رئيسًا لرابطة الأخوة الإسلامية بالقاهرة، وكانت تجمع ممثلين مستنيرين لشتّى الدول الإسلامية، كما كان عميداً لكلية الآداب بمصر، فسفيراً لها بالمملكة العربية السعودية، والباكستان، ولقى الله وهو مدير لجامعة الرياض بالسعودية.

هذا بعض ما قلتُه عن الرجل تعريفاً به، وأريدُ الآن فى حديث الذكريات أن أسرد بعض مايتعلق به من مواقف رأيتُها رأى العيان، وكان لها أثرها القوى لدىّ.

أوّلَ مارأيت الدكتور عزام رأيتُه فى دار الحكمة بالقاهرة، حيث كان يُلقى درسًا من دروس التفسير القرآنى فى حلقةٍ علمية نظمها الحاج يعقوب عبد الوهاب أسبوعيا، وكان موضع التفسير هو الآيات الكريمة فى أول سورة الروم المبتدئة بقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1].

(١) سورة الروم الآية ١ : ٥.

حيث ذهب الدكتور فى تفسيره مذهبًا جديدًا لا عهد لنا به، إذ ذكَر أنّ ما قاله جمهرةُ المفسرين من أنّ فرح المسلمين بنصر الله سيكون حين يغلب الرُّوم الفُرْسَ بعيدٌ غير محتمل، لأنّ المسلمين لا يعْتبرون نصرَ الروم على الفرُس مصدر فرحٍ وبهجة، وهم عدوٌّ لهم، تحرشُوا بهم، وتعالوا عليهم هازئين، ثم إنّ الآية تقول: «وعدَ الله لا يخلف الله وعده» والوعْد لمن يعوُد إليه الخير منه، ولم يكن لا نتصار الروم أدنى خير يعود على المسلمين.

ثم قال الأستاذ الدكتور ما ملخصه، لقد رجّحتُ أن هزيمة الروم التى اهتّم بها العرب حين نزلت الآيات الكريمة وقعتْ حوالى سنة ٦١٥، والنصرُ الذى سيفرح به المؤمنون ويعدّونه نصرًا من الله هو انتصارهم فى غزوة بدر فى السنة الثانية من الهجرة، أى سنة ٦٢٤، وبين سنة ٦١٥، وسنة ٦٢٤ بضع سنين، فكأنّ معنى الآية الواضح هو هذا: حين يتحقق نصرُ الروم سيتحقّق لكم، أيها المسلمون انتصار من عند الله تفرحون به، وقد وَعَدكم الله بهذا، ولا يخلف الله وعده!

هذا لبابُ ما قاله الدكتور فى تفسير الآية، وقد استمَع إليه الخاصةُ من العلماء، فرأوْا فيه ما يدعو إلى التأمل، ومالت الكثرة منهم إلى تأييده، وكانَ من الغريب أن تمضى عشرون عامًا على إذاعته، ونشره بمجلة الرسالة، ثم يقوُم عالم فيدّعيه لنفسه فى حديث إذاعىّ، وقد دَفعنى الواجب العلمى إلى كتابة مقال أردّ به الرأىَ إلى صاحبه، مستندًا إلى مجلة الرسالة، لأنّ الحديث الشفوى فى محاضرة عامة قد يتعذر إثباتُه والاقتناع به عند من ينتحل أقوال سواه، وكمْ رأينا فى هذه الأيام من أقوال تُغتصب بعد رحيل أصحابها، ولكنّ الحق يعلو فينكشف الزيف.

اللّغة الفارسية:

حين تقرّرَ انضمامُ طلبة كلية اللّغة العربيّة إلى معهد التربية، أُضيف بعضُ الموادّ الجديدة إلى المقررات بالكلّية، ومن بينها اللّغة العبرية، ولكنّ الطلاب أَبَوْا دراسةَ العبرية، وأحبوا دراسة اللّغة الفارسية لأنّها لغة إسلامية، وأبناءُ الأزهر جديرون بتعلّمها، فاتجه نفرٌ منهم إلى شيخ الكلية الأستاذ عبد الجليل عيسى، يَعرضون

رأيهم فى ضرورة تدريس الفارسية، فقال: إنّ اللائحة خَيرّت الكليةَ بيْن اللُّغتين. ولكّن كلية الآداب ليسَ لديها من تُنيبهُ لتدريس الفارسية لدينا، فبعثتْ بمن يدرّسُ العبّرية هذا العام، ولو استطعتم مقابلةَ الدكتور العميد، وإقناعَه بانتداب أستاذ للّغة الفارسّية، فهذا غيرُ مخالف للائحة، وكان كلام الشيخ بَاعثَ توجيه فورىّ للطلاب، فذهبنَا إلى كلية الآداب، وكُنّا خمسةً من الزملاء، ونحنُ نتهيّبُ لقاء الدكتور العميد، ولكنَا فوجئنا بأحْسنِ ما يكونُ من الاستقبال، إذ تركَ الدكتورُ عبد الوهاب عزام مكتبه، وجلس معنا كواحد منا، ثم استمعَ إلى ما قلناه فى ابتسام مشجّع، وقالَ بعد أن فهم المراد، أصارحكُم بشئ فى نفسى، هو أنّ اللّغة العبرية الآنَ أصبحتْ ضرورةً قُصوى لنا، لأنّها لغةُ عدوّ يحتل أرضنا، ويشنّ على العرب غاراته الظالمة، ولابد أن نتعلم لغته، ولنسْتطيع أن نفهم إذاعته، ونقرأ صُحُفه، لأنّ من تعلّم لغة قوم أمِنَ مكرهم، ولعله توفيقٌ من الله أن أرسلْنا أستاذاً للّغة العبرية إلى الأزهر، فإذا استمعتْم نصيحتى فقد أبدْيتُها، ونظَر بعضُنا إلى بعض نظرات المقتنع المؤيد.

ولم يشأ الدكتور عزام أن ينهىَ المجلس، ولكنّه استطرد فذكَر أنّه كان أستاذًا بكلية اللّغة العربية فى العام الأول لإنشائها، وأنّ الملك فؤاد رحمه الله قد زار الكلية، واستمع إلى درْسه بها حين مرَّ بالسّنوات المختلفة مع فضيلة الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الأزهر، وفضيلة الشيخ إبراهيم حمروش شيخ الكلية حينئذ، وأنه آنسَ لدى طلاب الكلية ذكاءً وقدرة على الاستيعاب، وبراعةً فى النقاش، ثم قال إنّه فى العام الماضى كَتَب مقالاً عن البطل الأندلسى المنصور بن أبى عامر، ودَعَا الشعراءَ إلى تخْليد بطولته بقصائد تُثير الحميّة وتُلهب الهمّة، فلم يستجبْ غير طالب بكلية اللّغة العربية نَسِى اسمَه، إذ أرسلَ إليه قصيدةً عن المنصور تُعتبر من عُيون الشعر الإسلامىّ، وهو يحتفظُ بها فى أوراقه، وسيعملُ على نشرها! ثم ودّعنا فى اعتزاز.

ذَهْبنا إلى الكلية مقتنعين بقول العميد، وكانَ من هدفى أنْ أبحث عن الطّالب الذى أرسل القصيدة إلى الدكتور العميد، وأنَا أعرف الزملاءَ من شعراء الكلية

معرفةَ مودّةٍ ومسامرة، فأخذتُ أسألهم واحدًا واحدًا حتى علمت أن صاحبَ القصيدة هو زميلى الأستاذ يوسف زاهر، فأحْببتُ أن يطلعنى عليها، فاستجابَ مُرحّبًا، وأسمعنى شعرًا صادق الإحساس والتصوير، فنقلتُ القصيدةَ مُعتزا، وأذكرُ من أبياتها قولَ الأستاذ يوسف زاهر فى حالِ الأندلس قبل سيطرة المنصور:

ذابتْ مهابتُهم من عينِ واترِهم ... كما يذُوبُ بكأس الشارِب الحَبَبُ
لولاَ محمدُ وافاها على عجلٍ ... والريُح عاتيةٌ والموج مضطربُ
لغيرّ الريُح مجراها ولارتطمتْ ... ألواحها بصخور شادها العطبُ
لم يَثْنِهِ عن حِمَى أعدائه مرضٌ ... ولم يثبطه عن نَيْلِ العُلاَ نصبُ
قد يخمدُ الجسمُ من كدٍّ ومن تعب ... وجمرة الروحِ فى الأحشاء تلتهبُ

لقاء عابر:

ومضى أكثرمن عام، وصادَف أن مرضتْ عينى بالرمد قُبيل الامتحان بالسنة النهائية، فتألمتُ كثيرًا، ورفّهتُ عن خواطرى بقصيدةٍ تصّور أشجانَ طالب سيتقدّم للامتحان بعد شهر، وهو لاَيستطيع أن يقرأ، وبدا لىَ أن أنشرها بمجلة الثقافة التى تُشجعنى تفضلا، فذهبتُ إلى إدارتها بشارع الكرداسى، ومِن حظّى الحسن أنْ وجدت الدكتور عزّام يجلسُ فى حجرة رئيس التحرير وحده، وقال إنه حضر بمقالٍ للنشر، وسألَنَى عن مقصدِى، فذكرته أوّلاً بلقائنا فى مكتبه، واحتفائه بنا ثم طلبَ أن أُنشد القصيدة التى جئت لِنشرها، فقرأتهُا متهيبا، لأنى أعرفُ أن العميد ناقدٌ دارس، وكان مما قلت:

أعدّ دروسى وَهْى فوقى كصخرة ... أناخَتْ على صدرى فَنُؤْتُ بها حَمْلاَ
أصول تلاقت بالفروع فأشكلتْ ... وأُقسم لا فرعًا فهمت ولا أصلا
كأنّى منها دوُن ذروة شاهقٍ ... أحاول أن أرْقَى فلا أجد السبلا
هب اللّغة الفُصحى ستُلقى زمامها ... إلىَّ بما كابدتُ فى فهمها قبلا

فمن لىَ بالعبرىّ وهو طلاسمٌ كما رقمتْ عرافةٌ تضرب الرملا
عجبتُ لهم جاءُوابها أعجّميةً وقالوا بيانٌ يُمتع الروح والعقلا
إذا صحَّ ما قالوا فإنّ انتسابها لصهيون يُلقيها إلى الوهدة السفلى!

وما كادَ الدكتور يسمعُ حتى ضحك، وقال: أنا السببُ فى إقناعكم بتعلّم اللّغة العبرية! قلتُ لو لم تكن العبرية لكانت الفارسية! ثمّ أخَذ منّى القصيدة، وكتبَ عليها متفضّلا، أرجُو أن تُنشر سريعًا، وفُوجئت بنشرها فى العدد القادم بدون إبطاء..

مسجد حلوان:

أنشأ الدكتور عبد الوهاب عزام مسجده بحلوان، ليجمعَ الصّفوة من مفكرى المسلمين، إذْ يتيسر لقاؤهم بعد صلاة الجمعة حين يكونُ صاحب المسجد بمصر، وكنتُ أسعد كثيرًا بلقاء الأستاذ بعد الصلاة، حين يجتمع حولَه أصدقاؤه وتلاميذهُ فيفيض فى أحاديث العالم الإسلامى المعاصر، لأنّ زياراته المتتابعة لشتّى ربوع الإسلام الحنيف جعلْته ذا إلمام مباشر بما تموجُ به الأحداث، وقد كَتَب رحلاته فى جُزْأيْنِ كبيرين يَتَضَمنانِ خُلاصةَ مَشَاهدة بأسلوب رصين لا يَنقُصه البريق الأدبى فى بعض خطراته. ومنِ مجلسه العَامر، عرفتُ تاريخ شخصيّتين نابهتين، إحداهما شخصيةُ الداعية الإسلامى الكبير عبد الرشيد إبراهيم الذى كان نظيرَ جمال الدين الأفغانى فى تجواله ببلاد الإسلام النائية ليرفع كلمة الله، إذْ نشأ الداعية فى حُكم روسيا القيصرية ذات الجبروت العاسف بالمسلمين، فقاوَمَ هذا الجبروت ما استطاعَ، ثم رحل إلى تُركيا والهند والصين، لنشر كلمة الإسلام، واستقّر أخيرًا باليابان فاعتنق الإسلامَ على يده عدةُ ملايين، واستطاعَ أن يبنى مسجدًا بطوكيو يكونُ مركز إشعاع لمن يعتنقون الإسلام، ثم دأبَ على أن يؤم الناس فى جماعة الفجر، فإذا فرغَ من الصلاة جمعَ أطفال المسلمين لُيقرئهم كتاب الله، ويعلّمهم فرائض الإسلام، ويراجع الكرّاسات الصغيرة بخطّ التلاميذ! ثم

قالَ الدكتور عزام، أليسَ من العجيب أن يكتب عبد الرشيد إبراهيم كتابًا قيمًا عن رحلاته فى بلاد الإسلام، فيترجمَ إلى اللغات الأوربية، ولا يُترجم إلى العربيّة، وهو أجدرُ باهتمامنا منْ رحلة ابن بطوطة التّى اشتهرت فى الآفاق، لأنه يكشف حاضرَ المسلمين، ويرسم الطريق للمستقبل؟!

أما الشخصيُة الثانية فهى شخصية الشيخ خليل الخالدى الذى جابَ جميع العواصم الإسلامية شرقًا وغربًا، ليبحث عن التراث المخطوط فى دُور الكتب، ومنازل العلماء، حتّى أصبح أكبر عالم فى المخطوطات، فإذا حدّثْناه عن كتاب ما، ذَكَر أماكنَ أجزائه المبعثرة فى مكاتب الشرق والغرب، فيقولُ الجزء الأول مثلا بمكتبة الآستانة، والثانى بالمغرب، والثالث بالقاهرة، وكل ذلك من مَحفوظه لا من كتابٍ بين يديه، وعن طريقه اهتدى الناشرون إلى جمع أجزاء متناثرة من كتب قيمة، وله خبرةٌ بخطوط العلماء فى شتى العصور، إذ عَرف رسمهم الكتابى معرفة الخبير الفاحص، وأذكُر أن الأستاذَ قد كتبَ عنه أكثر من مرة فى المجلات العلّمية، ولكنّه لم يترك الحديثَ عنه فى كثيرٍ من مجالسه، وهكذا كُنّا نظفر بالرائق المستطاب من حديث الدكتور فى مسجد حلوان.

أمنية لم تتحقق:

حين عُيّن الدكتور عزام مديرًا لجامعة الرياض ليقومَ على إنشائها بخبرته العلمية، واهتمامه الإسلامى، رشّحَ الأستاذ الزيات للقيامِ بعّدة محاضرات بقسم اللّغة العربية بكلية الآداب هناك، وقد تَباطأ الأستاذ الزيات معتلا بتقدّم السن، وتأخر الصحة، فأشار عليه الدكتور عزام أن يختار من تلاميذه من يقومُ بمهمة المدرس المساعد، فينوبَ عنه فى إلقاء بعض المحاضرات بعد توجيهه إلى المراجع، وطريقة البحث، وشاءَ الزيات أن أكون أنا المدرّس المساعد، فكتب إلىّ، وكنتُ مدرسًا بثانوية أبو تيج، ففرحتُ كثيرًا، وقابلتُ الدكتور عزام فغمرنى بعطفه المشكور، ولكنّ الرياح قد جاءتْ بما لاتشتهى السفن، حيثُ اعترض الأمْن بوزارة الداخلية على اسمى، إذ كنتُ محرّرًا بمجلة الإخوان المسلمين من قبل! ولم

يستطع الدكتور عزام أن يُذلّل الصعوبة القائمة، فقابلنى ليقول إن الغد مخبوءٌ لا يُنظِر، وقد يُهيئ الله من الفرص الممتازة مالايخطُر على بال، ومَنْ يدرى لعلّكَ تصبحُ أستاذًا فى جامعتك! قالها، ولا دليلَ يؤكد، ولا بارقة تشير، وكأن السّماء كانت تستمع، فجاء الغد بما يحقّق أمل الأستاذ! وأذكرُ أن الأستاذ الزيات أُصيب بنوبةٍ من نوباتِ الروماتيزم، فاعتذر آسفًا، ولم تسعدِ الرياض بزيارته.

ثم انتقلَ الدكتور عزام إلى رحمة الله، وقد بَقى حديثه عاطرًا يتردُّد نافحًا بالعبير، أذكر أن الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب كأن أستاذًا بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وكنتُ أزامله بكلية اللّغة العربية هناك، فكنا نتحدّث كثيرًا عن أعلام الفكر فى مصر، وجاءَ حديثُ الدكتور عبد الوهاب عزام، فذكَرَ لى الدكتور يحيى أنّه سعد بالتلمذة له، ثم بزمالته، وكانَ رئيسًا لقسم اللغات الشرقية الذى ينتمى إليه الدكتور الخشاب، فتَقدّمَ اثنان من الزملاء أحدهما الدكتور يحيى لنيل درجة أستاذ مساعد ليرشح القسمُ أحدهما، وفوجىء الدكتور الخشاب بأنّ الدكتور عزام قد اختار زميله، فأضمر فى نفسه عتابًا صامتًا، ولكنَّ الدكتور عزام قال له: سأتناولُ مَعَكَ الغداء فى منزلك يايحيى، ثم ذهبَا معًا إلى البيت، فصلّى عزام الظهر، وتناولَ الغداء مع الأسرة، لأنّ الدكتورة سهير القلماوى تلميذةُ الدكتور عزام وزوجةُ الدكتور يحيى، فليست غريبة عن أستاذها، وبعد أنْ فرغا من الطعام قال عزام: زميلك يايحيى أقْدَمُ منك فى التعيين بشهر واحد، وأنتما مُتساويان فيما عدا الأقدميّة التى رَجَح بها، وستكونُ أنت المرشح الأول فى وقتٍ قريب، فاطمئن، هذا ما سمعتُه من الدكتور يحيى فجعلته خاتمة هذه الذكريات!

* * *

الأستاذ محب الدين الخطيب

رأينا فى هذا القرن الحافل بأحداثه أناسًا يحملون على كواهلهم أعباء العالم الإسلامى، فما تجد مأساة من مآسى الاستعمار فى شتى ربوع هذا العالم الممتد إلاّ كانوا فى طليعة المناصرين، ومقدّمة المساندين، ومن هؤلاء شكيب أرسلان، وعبد العزيز جاويش، وعبد الحميد سعيد، ومحب الدين الخطيب الذى أعنيه بذكريات اليوم، فعلى مدى ستين عاماً تحفل بالأحداث الكبار كان محب الدين يجاهد بقلمه ولسانه وماله فى إذكاء الروح الإسلامية المتوهجة بالحماس، وقد كتب فى المؤيد ما أراد، ثم انتقل إلى الأهرام فلم يجد المجال الفسيح، فأنشأ مجلتى الزهراء والفتح، ليفسح المجال أمامه فيكتب ما يريد بدون سيطرة من رئيس تحرير يتحفظُ ويجامل ويصطنع الكياسة فى مهب الأعاصير، ثم انتقل فى أخريات جهاده إلى رئاسة التحرير بمجلة الأزهر، وفى مهمته هذه سعدتُ بمعرفته، ونهلتُ من معينه.

عبد الرحمن الغافقى:

كنت قرأت ماكتبه الأستاذ جورجى زيدان فى روايته المبدعة (شارل وعبد الرحمن) مصوّرًا فترة من فترات الجهاد الإسلامى بالفردوس المفقود، فأُعجبت إعجاباً رائعاً بسيرة البطل العربى الفذ عبد الرحمن الغافقى، وأخذت أبحث عن دراسة تاريخيّة خاصة بكفاحه البطولى، فلم أجد غير شذور متناثرة فى كتب التاريخ، ولكن إعجابى بالبطل الشهيد دفعنى إلى جمع هذه الشذور، وصنعت منها بحثًا متواضعًا، تقدّمتُ به إلى مجلّة الأزهر، وقابلت رئيس التحرير على غير معرفة، فلما قرأ عنوان البحث أشرق وجهه بالسرور، وصاح بى: لقد أحسنت كل

الإحسان فى اختيار هذه الشخصية المظلومة، فدعنى أقرأ ماكتبتَ أوّلاً، ثم مضى يقرأ المقال ودلائل القبول تكسو وجهه، حتى إذا فرغ منه، قال لى: سأنشره فورًا بدون إبطاء، وأرجو أن تسير فى هذا الميدان الموجّه، فتختار أمثال هذه الشخصيات الرائعة التى تنكب عن دراستها من يجمعون المتعارف عن المشهورين، ولا يسأمون أن يكرروا ما يعرفه تلاميذ المدارس، وكأنهم يتقدّمون بنادر عزيز! إنى أعانى كثيرًا من أمثال هؤلاء، وقد طربت لاختيارك عبد الرحمن الغافقى، وأنا أرشح لك أمثال عماد الدين زنكى، وقتبة بن مسلم، وعقبة بن نافع، والسلطان محمود الغزنوى، والنعمان بن مقرن، لتكتب عن كل بطل حلقة أو حلقتين فأسارع بنشرها بمجلة الأزهر. قلت: إنى أعتز باقتراحك وسأفعل إن شاء الله.

ولكن الرجل الكبير أعقب ذلك بقوله: لا تغفل المراجع الأولى، وأهمها تاريخ الطبرى، لأنى أجد بعض الكاتبين يكتفى بالكتب المعاصرة، وهى جدول لايغنى عن النهر، وعليك أن تعلم أن مثل الطبرى فى تاريخه كان ينقل كلّ ما يعلم فى الرواية الواحدة، ليضع أمام القارئ كلّ ما تناهى إليه، وهو بلاشك يعرف أن بعض ماكتب لم يبلغ مبلغ الصواب، ولكنه ذكره مع ما يعارضه من الروايات، ليضع أمام الباحث رسالةً صعبة، هى رسالة التخطئة والتصويب، والترجيح بميزان العقل الدقيق، حيث يختار من الروايات المتعارضة ما تشهد الدلائل بصحته، يقول الأستاذ محب الدين، وقد ابتلينا فى هذا العصر بمن يحتضن الروايات الرديئة وحدها، وينسج منها ثوبًا مشوهًا لأبطال التاريخ، فكن من هؤلاء على حذر، ثم ودعت الرجل، وقد بعث فىّ نشاطاً، وأوقد بين جوانحى همة تتطلّع إلى البحث البصير.

الزيارة الثانية:

كنت حديث عهد بالتخرج من كلية اللّغة العربية، وكنا نستعير من مكتبة الأزهر العامة بعض (الملازم) ونردّها عقب انتهاء العام الدراسى، ولأمر ما نسيتُ أن أرد ملازم النحو من كتاب الأشمونى بحاشية الصبان، فجاءنى خطاب يستعجل الردّ،

وبحثت عن (الملازم) المطلوبة فلم أجدها، فرأيت أن أزور مدير المكتبة فضيلة الأستاذ أبو الوفا المراغى، لآخذ رأيه، واستقبلنى الرجل قائلا: إنه يعرف اسمى، إذ يُطالع ما أكتب، ولذلك سيجعل هذه الملازم من المستهلك، وكنت قد قرأتُ له مقالا بجريدة الأهرام يرثى فيه الأستاذ محمد فريد وجدى بعد رحيله إلى جوار ربّه، فأثنيتُ على المقال، وهو حقيقة يستوجب الثناء، ففاجأنى الأستاذ بقوله: إنه كتب المقال لمجلّة الأزهر، ولكن الأستاذ محب الدين تشدّد فى رفضه، وأبى أن ينشره، فلم يجد بدا من إرساله إلى الأهرام، فسارعت بنشره، على غير ماكان يظن!

دهشت كثيرًا لما كان من رفض الأستاذ محب! وكان مقره على خطوات من مكتبة الأزهر، فسارعتُ إلى لقائه واستقبلنى الرجل مُرَحِّبًا، وقد ظن أنى أحمل مقالا جديدًا، ولكنى قلت له: إننى علمت أنك رفضت نشر مقال فى رثاء الأستاذ وجدى، وهو رئيس تحرير مجلة الأزهر لمدة عشرين عامًا، وجهاده الشاق فى الحقل الدينى يجعله فى مقدمة زعماء الإسلام فى العصر الحاضر، فلماذا؟

تغيّر وجه الأستاذ فجأة، وقال: أنت لاتعرف فريد وجدى، إنه ناصر الكماليين فى تركيا، كما أنه فى بعض كتاباته الأولى قال إن الإسراء كان بالروح ولم يكن بالجسم، فكيف أترك صفحات المجلة للحديث عن مثله، لقد رثيته بالعدد الماضى فى عدة سطور وهذا يكفى!

ولا أدرى كيف انفعلتُ كثيرًا لما لم أكن أتوقع سماعه، فعلاصوتى، وأنا أقول: إن الأستاذ وجدى قد ناصر الكماليين فى مبدأ الأمر، لأنه كان يجهل حقيقة ما يبيّتون، وكذلك كان أحمد شوقى، فقد مدح مصطفى كمال بعدة قصائد، ثم رأى من أفعاله ما دعاه إلى الهجوم عليه، وقال بصدد ذلك:

مالى أطوقه الملام وطالما طوقته المأثور من أمداحى
الحق أولى من وَلِيِّكَ حُرمة وأحقّ منك بنصرة وكفاح

فهل يُلام شوقى أو يلام وجدى؟ أما الإسراء بالروح فقول ذهب إليه بعض السلف، فإذا قال به الأستاذ وجدى فهو تابعٌ لامتبوع، على أنك قلْتَ إن هذا رأيه فى كتاباته الأولى، ومعنى ذلك أنه لم يعد رأيه أخيرًا، ثم سكتُّ قليلا، فلم أستمع رَدا مَّا من الأستاذ محبّ، فاستدركتُ أقول: لقد ألّفتَ يا أستاذ كتابًا عن الشاعر الهندى (طاغور) ملأتَه بتقريظه، أفلا يكونُ وجدى مثل طاغور، وله جهاده المشّرف؟

ثم إنك تجلس اليوم مكانه بالأمس! واستأذنتُ منصرفاً بدون أن أسمع جوابًا.

حذَر وارتقاب:

رجعتُ إلى المنصورة، وأنا نادم على لهجتى الحادة، التى واجهتُ بها أستاذًا كبيرًا له حق الرفق والتؤدة، وقلت فى نفسى: كان من الممكن أن تفصح عن وجهة نظرك بغير هذا الأسلوب الذى أثار الأستاذ فبدت دلائل الغضب فى وجهه بدون أن ينطق، ثم أخذتُ أرسل له مقالاتى بالبريد، متوقّعًا أن يتلكأ فى نشرها، ولكنه (شَهِدَ الله) كان يُسارع فى النشر بدون إبطاء، فأدركتُ أنّ روحه عالية، وأن غضبه كان وقتيا فحسب، وهكذا النفوس الكبيرة لاتحفل بما يكون من خلاف مُنزه عن الغرض، إنما يسىء المنقود كل الإساءة أن يعلم أن ناقده مغرض غير نزيه، فإذا انتفى ذلك عنه فى رأيه فإنه سيعفو عمَّا يصحب النقد من شطط متسرع، وهكذا فعل محب الدين.

ثم جاءنى بالبريد خطاب منه، يعلن فيه أن مجلّة الأزهر ستصدر عددًا خاصا بمهاجمة فكرة الدكتور طه حسين التى دعا فيها إلى إلغاء التعليم الابتدائى والثانوى بالأزهر، وسماها (الخطوة الثانية) باعتبارها تالية للخطوة الأولى، وهى إلغاء المحاكم الشرعّية، والحق أن الأزهر جميعه قد ثار لهذا الاقتراح، وشاء رئيس تحرير مجلّة الأزهر أن يصدر عددًا قويا خاصا بمهاجمة هذه الفكرة، فكتب لأُناس من الفضلاء يرجو إسهامهم فى التحرير على وجه سريع، ولا أدرى لماذا تقاعستُ عن إجابة هذا المقترح حينئذ، مع أنى أعارض فكرة الدكتور طه حسين، والحقيقة أن الإنسان فى بعض أحيانه يعانى من الجفاف الأدبى مما لايسمح له بمواصلة الكتابة،

فقد تأتى عليه مدة تطول أو تقصر بدون أن يكتب سطراً واحداً، وقد يؤلف كتابًا جيداً فى شهر واحد، وكان من الواجب أن أعتذر للرجل شاكراً تكرمه باختيارى، ولكنّى قدرت أنى سأكتب فى آخر لحظة، ومرّ الوقت بدون جدوى، ثم ظهر العدد حافلا بمقالات أكثرها موضوعى، وقليلها استهلاكى، فسعيت إلى لقاء الأستاذ معتذراً باشتغال الخاطر بأمور خاصة حالت دون الاستجابة، فوجدتُه سهْلاً وديعًا يُسارع إلى قبول الاعتذار فى تسامح، وقد تشقق الحديث حول اقتراح طه حسين، فقال الرجل إن طه حسين أخذ كثيراً من نشاطه الأدبى، إذ كانت آراؤه فى أكثرها تصدم مشاعره منذ نشر كتابه عن الشعر الجاهلى، ودعا إلى أن تكون مصر مصرية فحسب، ونادى بالتعليم المختلط فى جميع المراحل، ثم ابتسم ابتسامة تنم عن ذكرى سعيدة خطرت له أتبعها بقوله: لقد كتب طه حسين بحثًا ينكر فيه شخصية مجنون ليلى ويعده شخصية أسطورية لا وجود لها، لأن الروايات الأدبيّة تقول عنه أشياء متضاربة، فهو مّرة نجدى، وأخرى تهامى، ومرّة تزوج بليلى، وأخرى حرم لقاءها، ومرة جُنّ وأخرى عقل، وهذه المتناقضات فى رأى طه حسين تدل على أنه غير موجود فعلا، وأن الرواة قد اخترعوا أخباره فجاءت متناقضة، ثم جاء الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فكتب مقالاً رائعًا يزن فيه طه حسين بميزانه الذى وزن به مجنون ليلى، فقال: سيأتى بعد عدة قرون من يزعم أن «طه حسين» غير موجود، لأنه فى بعض الروايات أزهرى يلبس العمامة، وفى بعضها مطربش تخرج من الجامعة، وهو فى بعض الروايات عالم دين يحفظ القرآن، وفى بعضها متفرنس تخرج من جامعة باريس، وهو فى آثاره السياسية مضطرب الاتجاه، مرة يهاجم حزبًا، ثم فى مرة أخرى يكون داعية له، وكل هذه المتناقضات تدل على أنه لم يوجد، وإنما اخترع الرواة قصّة وجوده، يقول الأستاذ محب الدين ماكدتُ أرى هذا المقال الممتاز حتى ساعدتُ على نشره فى أوسع نطاق، فنشرته بمجلة الزهراء، وبمجلة الفتح، وبمجموعة الحديقة التى أصدرت منها ثلاثة عشر جزءاً، ثم لم يشفنى هذا فنشرته فى صفحتين كبيرتين، ووزعتهما بالمجان مع بائعى الجرائد، لأنّ فكرة المازنى تهدم كل آراء طه حسين إذ قامت على تَصَيُّد المتنافضات.

أغراض الاستشراق:

ظهر كتاب يتحدث عن التاريخ الإسلامى فى عهد النبوة لمدرِّس جامعى حشاه حشواً بأفكار المستشرقين ممّن لم يسلموا من المنحى التبشيرى، وفيه ما يؤلم الحقيقة، إذ خاض المؤلف بالباطل فى الفتوح الإسلامية، والروح العربية، وقد تعرض الكتاب لنقد موضوعى عصف به، فحبّب لى أن أكتب مقالاً عن أغْراض المستشرقين، أشرت فيه إلى نماذج من سقطاتهم المنكرة، وأتبعتها بما قيل فى ردّ هذه المفتريات، وظهر المقال بجلة الأزهر مشفوعًا بتعليق مستفيض كتبه الأستاذ محب الدين الخطيب، مؤكدًا أن المستشرقين عيون الغرب فى الشرق، وقد قام الاستشراق لتعريف الدول الغربيّة بالنواحى التى لايستطيع الإلمام بها رجال السياسية فى وزارات الاستعمار، وهم يتفاوتون فى اتجاههم التبشيرى، فمنهم القسيس المتعصب، كالأب لامنس اليسوعى، ومنهم من يحارب الإسلام بعواطفه اليهودية، كالمتنصر مرجليوث، وليسوا جميعًا فى هذا المستوى، وأفاض الأستاذ الخطيب فى تعليقه إفاضة تدل على اهتمامه بالمقال، فرأيت من الواجب أن أشكره، وتوجهت لزيارته بإدارة مجلّة الأزهر، فنهض للقائى حين وقعت عينه علىّ، وقال: إنّ مقالى عن المستشرقين يجب أن يُذاع على أوسع نطاق، لأن مجلة الأزهر محدودة الانتشار، وأنه أرسل صورًا منه إلى بعض أصدقائه من رؤساء التحرير فى مكة، ودمشق، والرباط، وبغداد، ليجعلوه من مختاراتهم التى ينشرونها فى صُحفهم! فتأثرت كثيرًا بما قال، وشكرته معترفًا بصدق يقينه، وودعته مسرورًا مغتبطًا.

إزالة شبهة:

انتقل الأستاذ من رياسة مجلة الأزهر، وتفرغ لعمله الحر بالمطبعة السلفيّة، فمضت مدّة كبيرة لم أسعد بلقائه، ثم صادف أن ذهبت إلى جزيرة الروضة لزيارة صديق يسكن بجوار منزل الأستاذ، فدفعنى حنين إلى لقائه، ووجدته بجلبابه الأبيض يقف بين العمال فى المطبعة، سائلا عن بروفات كتاب يقوم على نشره، وما إن رآنى، حتى صاح: ياأستاذ رجب، تعالَ أُسْمِعْكَ أعجب الأنباء، زارنى اليوم طالب بكلة أصول الدين وأخبرنى أن أستاذه بالمدّرج شتمنى ورمانى بالجهل!

لوكنتُ تعرضت للاهانة فى كلّية إلحاديّة من الكليات التى أحارب أدعياءها، ماتملكنى الغضب، ولكن بعد هذا الجهاد المرير أُسَبُّ فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر! قلتُ: تأكَّد أن الّذى نقل لك هذا الهراء غير أمين، فكل الأزهريين يعرفون مكانتك الرائدة فى دنيا العلم والصحافة والأدب، وسأبحث الموضوع فوراً وأتصل بك.

وفى اليوم التالى ذهبت إلى كلية أصول الدين، وقابلت الأستاذ الدكتور عبد الغنى الراجحى، وأخبرته بما حدثنى به الأستاذ محب الدين، فقال متعجبًا: لايُعقل هذا، ثم صحبنى إلى حجرة الأساتذة وصاح بصوته الجهورى: مَنْ منكم تعرّض للأستاذ محب الدين فى محاضراته، فرأيت شيخًا مهيبًا يبتسم، وقال: هو أنا، فسارعت أقول له: إن الرجل غاضب لشتمك إياّه، فقلّب كفّيْه دهشًا، وقال: محب الدين بمنزلة أستاذى فكيف أشتمه؟ لقد خالفتُه فقط، إذْ كنتُ أدرس حياة أبى الحسن الأشعرى، وقررتُ أنّه عدل عن مذهب الاعتزال إلى مذهب يجمع بين طريقتى السلف والخلف وإليه ينتسب الأشاعرة جميعًا، فقال أحد الطلاب: إن الأستاذ محب الدين قد قرّر فى بعض بحوثه أنه رجع إلى عقيدة السلف وحدها، فقلت: إنّ الاستاذ محب باحث فاضل، ولكنه غير متخصص فى كُتُب العقيدة، وطالبتُ الطالب أن يعرض علّى ما قال الأستاذ محب، فوعدنى ولم يفعل للآن.

اتصلتُ تليفونيا بالرجل من الكليّة، وأخبرته بما سمعت، فشكرنى، ولكنه قال: إنه يتمسّك بما قاله الطالب من رجوع الأشعرى إلى مذهب السّلف، إذ إنّ آخر كتاب ألّفه وهو كتاب (الإبانة) يدل على سلفيته الخالصة، والآراء بالخواتيم، فرجعتُ الى الشيخ الجليل وأخبرته بردّ الأستاذ، فقال لابدّ من بحث جديد لكتاب الإبانة، مع المقارنة بينه وبين كتاب (اللّمع) الذى يُتعبر أساس المذهب الأشعرى.

وكانت زيارة المطبعة هى آخر مرة أرى فيها الداعية الغيور محب الدين، إذ انتقل إلى جوار ربه، تَاركاً آثاره الناطقة بفضله، وقد تنوعَتْ ميادينها لتلتقى فى مركزٍ واحد، هُوَ خدمة الثقافة الإسلامية، والدعوة إلى اتحاد بلاد الإسلام.

* * *

الشيخ محمد الغزالى

الشيخ محمد الغزالى من أكبر دعاة الإسلام فى هذا العصر، إن لم يكن أكبرهم جميعًا! فإنه يملك مع روعة البرهان وقوة الإيمان، وصلابة العقيدة أسلوبا حَارا يتوهج حمية، ويلتهب غيرة، أسلوبًا يملك مشاعر المستمع حين يكون الغزالى خطيبًا، ويأسر عواطفه حين يكون الغزالى كاتبًا، وهو من الأستاذ حسن البنا رضى الله عنه بمنزله محمد عبده من جمال الدين الأفغانى، إذ شرح أصول فكرته، وحلّل عناصر دعوته، وأيد مسعاه بالفكر المستنير والرأى الصائب، وقد رزق الله مؤلفاته حظوة بالغة لدى الخاصة والعامة، فكونت مكتبة إسلاميّة تقف فى وجه الطوفان الزاحف من بلاد العداء الصارخ، فتكتسح الباطل وتنصر الحق، وكان من حظى أن أتابع هذه المؤلفات وأن أكتب عنها فى تقدير وإجلال، إذ كنت أستضىء بنورها فى كل اتجاه، وقد نشرت بعض ماكتبت عن مؤلفات الأستاذ فى الجزء الثانى من كتابى (من منطلق إسلامى) ثم عثرت على كتابات أخرى سأحاول نشرها فى مجموعة تالية، ومن بينها ما نشرته بمجلة الرسالة العدد (٩٤٥)، بتاريخ ١٣/ ٨/ ١٩٥١، عن كتابه (الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين)، حيث كان هذا الكتاب صيحة عالية تواجه من يحاربون الشيوعية لحساب الرأسمالية باسم الإسلام، ومن يحاربون الرأسمالية لحساب الشيوعية باسم الإسلام أيضًا، والإسلام ـ كما يقول الأستاذ ـ ينظر إلى الرأسمالية والشيوعية معًا نظرة عداء واحتقار، لأن له نظرته المستقلة التى تعمل على إسعاد البشرية جميعًا فى ظلال صادقة من الإخاء والحرية والمساواة، وأذكر أنى قلت فى الخاتمة: «لقد فهم الأستاذ محمد الغزالى الفقه الإسلامى، وأدركَ أصوله ومنازعه إدراكًا يمده

الذكاء الثاقب، والنقد البصير، كما ألمَّ بمشكلات عصره، وعلل مجتمعه، وأخذ يستلهم السماء فى إصلاح الأرض، ويضمد بالوحى الإلـهى والهدى النبوى جراح الأمة الإسلامية الناغرة».

وأنا أقول الأمة الاسلامية عن قصد، لأن الداعية الكبير يحمل على كاهله هموم المسلمين فى كل مكان، شرقًا وغربا، فما يفجأ الناس حادث فى بلد ما من بلاد الإسلام حتى يكون أوّل الداعين إلى إقالة العثرة، ونصْرة اللهيف، لأن وطنه هو الإسلام حيث امتد ورفرف، وقد قال أحمد شوقى فى تقدير المجاهد الإسلامى الكبير عبد العزيز جاويش أبياتًا رائعة، تصلح أن تُقال فى جهاد الأستاذ محمد الغزالى، إذْ نَعَى الناس عليه اهتمامه بمصائب العالم الإسلامى، والناس هنا هُم الذين فى قلوبهم مرض، ممّن لايشعرون بأخوة الإسلام، وترابط المسلمين حتى يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى، قال أحمد شوقى:

لقد نَسى القوم أمسِ القريب ... فهل لأحاديثهِ من معيدِ؟
يقولون مَا (لأبى ناصرٍ) ... وللتُّرك ما شأنه والهنودِ؟
وَقيم تحمَّل همّ القريب ... من المسلمين وهمَّ البعيدِ؟
فقلت وما ضرّكم أن يقوم ... من المسلمين إمام رشيد؟
أتستكثرون لهم واحدًا ... ولّى القديم نصير الجديد؟
سعى ليؤلّف بين القلوب ... فلمْ يعدُ هدى الكتاب المجيد
وللقوم حتى وراء القفار ... دُعاة تغنّى ورُسْلٌ تشيد

فى السعودية:

ولا أستطيع أن ألّم بذكرياتى جميعها مع الأستاذ الغزالى، ولكنى أكتفى ببعض ما يلقى الضوء على ضروب من جهاده المتعدد الأنحاء، حيثُ ألمحتُ إلى مواقفَ

من نضاله فى مقال صادق كتبتهُ لمناسبةٍ ملزمة، فقد جاء الأستاذ الغزالى أستاذًا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، بعد أن اصطدم بأولى الأمر اصطدامًا مدويًا حين خالف ما يُراد من تشريعٍ يخالف الإسلام فى شئون المرأة، فجهرَ برأيه الناقد، ثم رأى أن يستجيب إلى دعوة السعودية فنزلَ أم القرى علمًا بارزًا، ومصباحًا مضيئًا، وقابلَه ذوو الفضل مقابلة تليق بمقامه الجليل، ولكن نفرًا ممّن يحْسبون كلّ صيحة عليهم قد تحاشوْا لقاء الأستاذ، ظنا منهم أنّ الاتصال به يعنى منابذةَ أولى الأمر فى مصر، وقد علمتُ بذلك وأنا بالرياض أستاذًا بجامعة الإمام محمد بن سعود، فكتبتُ مقالاً صادقًا أُرحبُ فيه بوفود الأستاذ الكبير علينا بالسعودية، منتهزًا قراءة حديثٍ له بجريدة عكاظ، وبادرتُ بنشر مقالى بجريدة الرياض الصادرة فى ١٣/ ١٢/ ١٣٩٤هـ تحت عنوان (مرحبًا بالشيخ الغزالى) وفيه أقول:

«لقد سُئل الأستاذ عن عدد مؤلفاته فذكر أنها فوق الثلاثين، وأحبّ أن أوضح أن المسألة ليست مسألة عدد، فإن كلّ مؤلف للأستاذ يقوم مقام جامعة حيّة تُمتع العقل، وتلهب الشعور، لأن الكاتب ذو رسالة هادفة، فهو أحد القائمين بقلمه الباتر، ولسانه المؤمن على ثغْرٍمنْ أكبر الثغور خطرًا ومهابة. يذود أراجيف الأعداء، فيبددُ أحقاد الصليبية الغادرة، والصهيونية الماكرة، فى عزيمة صارمة لاتعرف المهادنة، وأعداءُ الفكرة الإسلامية فى الشرق والغرب يرونه خصمهم الألد، فيحاربونه بكل سلاح، ولكن الله عز وجل يمده بالنصر، تأكيدًا لقوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

نشأ الغزالى مجاهدًا، دائم الحركة، كان فى شبابه الأوّل يقف مع الإسلام أمام الانتهازية التى شوهت معانى الشريعة، فادّعت أن الإسلام يميل إلى الزهد والتقشف، وهؤلاء أُجَراءٌ من عبيد القلم، يؤيدون افتراءهم بالآية المحرّفة، والحديث المفترى، والتاريخ الكاذب، حتى جاءت مؤلفات الغزالى تشرق بنور

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

الإسلام فتوضح سياسته فى المال والعقار، مؤكّدةً حق المسلم فى التمتع بثمار الحياة، وبغى الظالم فى استنزاف الدماء وكسب الحرام، ثم جاء عهدٌ وجدت فيه الشيوعية الكافرة ألسنةً تهتف بمبادئها، ويسَمّى أصحابها بأسماء المسلمين، وقد سيطروا على منافذ الرأى، ووجدوا فى المنابر العالية، والجرائد الكبرى، والإذاعات العامّة ميدانًا لترويج الباطل، ثم رأوْا من عَون الحاكم المتمكن ما مهدلهم طريق السيطرة والنفوذ، ولكنّ الغزالى حفظه الله يهتف فى الظلام بكفر الشيوعية، ولايجد فى بلده من يجرؤ على طبع مؤلفاته، فيتجه بها إلى غيرها من البلاد العربيّة، ليواجهَ الزحف الأحمر، مبيّنًا خطره على الإسلام، ومستهدفًا لأشق ضروب المعاملة، من مقاطعة، وإرهاق، والرجل صابر محتسَب.

ثم تزيد المسألة خطورة، فيتقدم العملاء بسمومهم القاتلة مرجفين بمبادئ الإسلام، ولكنّ الغزالى يصيح بهم فى أضخم المؤتمرات السياسية ليوضح ماضيهم القذر فى الوصولية والانتهاز، ورئيس الدولة يسمع، والتليفزيون والإذاعة تنقلان كلمة الإسلام على لسان الشيخ، فإذا الحقُد المسموم يدفع بعض الأغرار إلى التهكّم بالأستاذ فى صُور دنيئةٍ ظهرتْ بها جريدة الأهرام، فهاج لها الشعب المصرى أكبر هياج، وقمعت نفوس الأوغاء، حين عرفوُا أن الغزالى يتكلم باسم الأمة الإسلامية، لاباسمه وحده، فآثروا الانزواء.

بين محمد عبده والغزالى:

سُئل الأستاذ الغزالى فى حديث عكاظ عن الإمام محمد عبده ورأيه فى الشرق والغرب، فأجاب بما ألهمه الله من توفيق، ولست أناقش هنا كلام الغزالى عن الأستاذ الإمام، ولكنّى أعلن أن الغزالى قد صارَ بقوة الله وتأييده خليفةً للإمام فى الميدان، لقد واجه محمد عبده منذ قرابة قرن حقد الأوربيّين على الإسلام، فى وقتٍ كانت لهم السيطرة الباغية على أكثر بلاد الحنيفية الزهراء، وقد مكنت لهم قوتهم السياسية من الإرجاف بالإسلام على أوسع نطاق، فادَّعَوا له المثالب المفتراة، ورَأَوْا أنْ لاصلاح للمسلمين إلاّ بهجر مبادئه التى تصادم العقل، وتعرقل أسباب الحضارة، وتصد عن العلم والثقافة، فانبرى الأستاذ الإمام ليبدّد هذه

الأراجيف بحجج نارية، تُلهب المفترين، حتى استطاع بمنطقه المفحم أن يوضّح قيادةَ الإسلام للإنسانية فى سبيلها الحضارى المشرق، فكوَّن رأيًا عاما إسلاميا يقفُ أمام هذه المفتريات، فإذا هى هواء، ومضَى الأستاذ إلى ربه، فزادَ بغى الغرب، وكثرت فى بلاد الإسلام ذيوله، وعملاؤه، فجددوا الهجوم الآفل بسموم غير السموم التى كشفها الأستاذ الإمام، ولكنَّ الله قد هيأ الأستاذ الغزالى ليكون فى طليعة من يحملون الراية بعد الأستاذ الإمام، وكانت المعركة حامية الأوار، ولكنها انجلت عن ظهور الحق، ودحر البغاة.

ومضى المقال فى مثل هذه المعانى إلى أن قلت: إنى أُباهى بمواقف الغزالى الصّارمة فى وجوه الضلال، إذ هى نماذج تحتذى، وقد اتخذ من المنبر مذياعًا لنشر آرائه التى تحاربها جرائد الوصوليّن فلا تسمح بإذاعتها، مع أنها تُفرد فى الجريدة الواحدة صفحتيْن لأخبار من تجعلهم نجوم الفن والرياضة! إنّ المصريّين جميعًا يعرفون مواقف الغزالى الجبّارة على منابر الجامع الأزهر بالقاهرة، وعمرو بن العاص بالفسطاط، وغيرها من منابر عواصم المحافظات، وهى مواقف رَدّت للمنابر الإسلامية اعتبارها، إذْ جعلهاَ الأستاذ ذاتَ رسالة إعلامية ساطعة، وما شُرعت الخطب يوم الجمعة فى الإسلام، إلا لتُؤدى ما أدّاه الأستاذ من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وأعجب ما أعجبُ له أنّ هذا الشجاع الصائل فى مواقف الخطر، قد تولّى إداراتٍ شتى بوزارة الأوقاف، فكان بها نسيمًا رقيقًا يهبّ على أرواح الضعفاء مِنْ طالبى العوْن والإسعاف، وكم جلسَ الساعَة تلْو الساعة فى مكتبه المحتشد بذوى المطالب، ليعملَ على إنصاف مظلوم، أو تعْيين عاطل، أو معونة بائس، وإنّ عينه لتفيض بالدمع حين يجدُ من مظاهر العوز والحاجة مالايملكُ له دفعاً أمام اللوائح والقوانين، هذا الرقيق الباكى قد واجَه أعْتى العواصف جرىء القلب، شجاع اللسان دون أن يتهيّب، ومازال موقفُه النّارى مما زعموه حقوقَ المرأة يتردّد فى كل مكان، إذ وقف أمامَ رغبة طاغية تؤيدّها السلطة بما ملكت من نفوذ، وقد كانَ

يؤازرهُ فى موقفه أستاذنا الجليل محمد أبو زهرة رضى الله عنه، فوجّها البحث فى شئون المرأة وجهته الصحيحة، وإنْ وَرِمَتْ أنوف، وتقلّصت شفاه.

هذا تركيزٌ لما جاء بمقالى فى الرياض تحية للقادم العزيز، وقد قرأه الأستاذ، وتفضل بكتابة رسالة إلىّ تحمل شذى أسلوبه المبين.

كرّة أخرى:

كان الرئيس أنور السادات قد هاجمَ الأستاذ الغزالى بضراوة، ونسبَ إليه من الجمود وحبّ الظهور والتطرف مالايتصل بالأستاذ فى شىء، وكانَ ذلك على ملأٍ من الأشهاد، حيث أُذيع حديث الرئيس فى التليفزيون والإذاعات المصرية، ونشرتْه الصحف اليومية، وتبرعَ بعضُها بالتعليق المؤلم للأستاذ مجاراةً للرئيس، وتزلفاً له، وهى روحٌ منكرة نعرفُها لدى من يجعلون الملق الرخيص سُلّم الوصول، غير عابئين بتَقزز الجمهور، وانكشافهم المخزى أمامه، وفيهمْ من يسمع ابنَه وأخاه وأباه ينكرون وُصُولِيّته ثم لايخجل، لقد راعنى أن يُطمس الحق فى مصر على هذا النحو المتسع، فكتبتُ مقالاً هادئاً، بدأتُه بالثناء على الرئيس، ومباركة جهوده السياسية فى إعادة النّصر، ونجاح العُبور، ثم قلتُ إنه استمع إلى المغرضين الذين يبلّغونه الأباطيل، وهو زعيمٌ مثقف، يعرف دور الغزالى، كما يعلم أن اختلافَ الرأى شىء طبيعىّ، لذلك نرجُو أن يعيد النظر فيما قاله، متحريا تصحيح الحقائق بما تملكه الدولة من أجهزة كلها تأتمر بمشيئته، وذهبتُ مع صديقى الأستاذ الدكتور عبد الستار زموط الأستاذ المساعد بكلية اللّغة العربية بالقاهرة إلى جريدة الأخبار، على أملٍ أن تَنشر المقال، لأنّه يتضمن من الثناء على الرئيس ما يمنعُ شبهةَ معارضته، وقابلت الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف، وهو صديقٌ عزيز أشرفُ بصداقته، فقرأ المقال، ثم طَلَب أن أتركه معه لينشرَ خلال أسبوع على الأكثر، ومضى الوقت المحدّد بدُون جدوى، فذهبتُ إلى الأستاذ فهمى، فقال فى هدوء: لقد أدركتُ منذ قرأتُ المقال ألاَّ سبيلَ إلى نشره، ولكنّك كنتَ منفعلاً، فلم أشأ أن أُشعل غضبك، وأرجُو أن تعلَم أن نجل الرئيس نفسه لايستطُيع أن

ينشر مقالاً يعارض فيه اتجاهه، ولعلّك تستمع إلى قولى فى هدوء، قلت: وأين المقال؟ قال: سأحتفظ به لدى، ليكونَ بعضَ ما أُدوّنه من ذكريات صحفية فى يوم ما، وقد لمستُ فى حديث الأستاذ روح الإخلاص الودود، فقبلتُ قوله مضطرا، وإن ساءَنى أن أُحرَم من إبداء شهادةِ حقٍّ، أتقدّم بها خالصة لوجه الله.

هموم داعية:

ألّف الأستاذ هذا الكتاب فى الثمانينيات، وأنا أعرفُ أن هذه الهموم ليستْ طارئةً عليه، بل بدأ يكابدها منذ امتشق القلم فى الأربعينيات، ولكنَّ الذى أحار لُه هو أنّ الداعية الكبير لايُحارب فى جبهة واحدة، بل فى جبَهْتين متباينتين، لأنّ فريقًا من الذين لايفهمونَ الإسلام على وجهه الصحيح يُبيحون لأنفسهم أن يخطئوه بلا هدى ولا كتاب منير، وهمْ بعد ذوو غيرة إسلامية لاتنكر، وقد بذلَ الأستاذ فى نقاشهم جهودًا مضنية، كان الواجب أن يفرغَ منها كيلا تعوقه عن منازلة مَن يلحدون فى آيات الله بدون وازع، ولكن الأستاذ قد اصطلىَ بنارَيْن، وحارب فى معتركين، والله معه! فهو لايضيع أجر العاملين...

* * *